

بلاغة الأحلام: دراسة بيانية مقارنة

جاسم سليمان الفهيد

أستاذ البلاغة المشارك بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الكويت

(قدم للنشر في ١١/١١/١٤٣٢هـ؛ وقبل للنشر في ١٧/٤/١٤٣٣هـ)

ملخص البحث. للرؤى والأحلام لغتها الخاصة التي لا تكشف بنيتها السطحية الظاهرية عن حقيقة معناها إلا بضرب من التأويل والتفسير، فهي لغة يمكن أن يُنظر إليها في كثير من تجلياتها على أنها شقيقة للغة الشعرية. وهذه الدراسة معنية برصد الآليات التي يستعملها المعبر في تأويل الرؤى، وهي آليات تتقاطع بطريقة أو بأخرى مع نظيراتها التي يستعملها الناقد البلاغي عند تصديده لتحليل نص أدبي. والمثير في الأمر أن هذا التوافق بين فني التعبير والبلاغة جاء دون تقصّد أو سابق معرفة، لأنّ جلّ أولئك المعبرين مارسوا ضرورياً من التحليل البلاغي في تفسير نصوص الرؤى دون أن تكون لديهم خلفية معرفية متخصصة في هذا الميدان!

كما اهتمت الدراسة بإضاءة المناطق المشتركة بين العلمين من مثل رعاية المقام، وتوظيف الوسائل البلاغية من مثل أنواع الاستعارة المختلفة، وعلاقات المجاز المرسل، وأسلوب الكناية، وفنون البديع في ميدان التعبير المنامي. الكلمات المفتاحية: الأحلام، علم التعبير، البلاغة، التأويل.

تمهيد

رموزها، ولهم في ذلك طرائق مختلفة واجتهادات متكاثرة تتوخى تحويل نص الرؤيا ذي الطابع الطوباوي الرمزي إلى رسالة لغوية معقولة المعنى حتى يتسنى لصاحبها الانتفاع منها في استشراق مستقبل أيامه أو تقويم أحواله الآتية القريبة، وهو ما يفسّر الحرص الذي يبديه الحالمون على تفسير أحلامهم وتطلّب العارفين بتأويلها.

لرؤى والأحلام لغتها الخاصة الفريدة التي لا تكشف بنيتها السطحية الظاهرية عن حقيقة معناها إلا بضرب من التأويل والتفسير، حيث تكتسب فيها المفردات معاني غريبة لا تسعف في إدراك مراميها معاجم اللغة المبسوطة، فهي لغة طالما سعى المعبرون إلى فكّ شفراتها واستنتاج

المعاني كما جعلت الحروف والأصوات والرُقوم الكتابية دليلاً عليها، ويقرّر تأسيساً على ذلك "أنه يقع فيها جميع ما يقع في الألفاظ من المشترك، والمتواطئ، والمترادف، والمتباين، والمجاز، والحقيقة، والعموم، والخصوص، والمطلق، والمقيّد."^(٣)

ومن الطريف أن المشتغلين بعلم التعبير كانوا سباقين قبل غيرهم إلى استعمال مصطلح (الصورة الخيالية) في بحثهم لوجوه التأويل ومناهج التعبير، على حين أن الدراسات النقدية والبلاغية استعملت هذا المصطلح في درس قضايا علم البيان في مرحلة متأخرة تعود إلى مطلع العصر الحديث، فأبو حامد الغزالي يستعمل هذا المصطلح في حديثه عن علم التعبير وأثر التخيل في نسج الحلم، ف"التوّم مانعٌ سائر الحواس عن العمل، وليس مانعاً للخيال عن عمله وعن تحركه، فما يقع في القلب يتدّر الخيال فيحاكيه بمثالٍ يُقاربه، وتكون المتخيّلات أثبت في الحفظ من غيرها، فيبقى الخيال في الحفظ، فإذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال، فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني، فيرجع إلى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيّل والمعاني". ثم يستشهد لذلك بتأويل ابن سيرين لرؤيا الرجل الذي رأى بيده خاتماً يختم به أفواه الناس، فقال له ابن سيرين: أنت مؤدّن تؤدّن قبل الصبح في رمضان. قال: صدقت. ثم علّق عليه بقوله: "فانظر أنّ روح الختم هو المنع، ولأجله يُراد الختم، وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح

ومن هذه الوجهة فإن لغة الرؤى يمكن أن يُنظر إليها في كثير من تجلياتها على أنها شقيقة للغة الشعرية وذلك بقليل من التسامح بالطبع، إذ يمكن اعتبار النصّ بنية ظاهرة كلية تحفي مدفونات وتجارب طفلية كما حال الحلم، ويخضع كلاهما (الحلم والنص) لقوانين تُفسّره، ولقوانين تُنتجه، ولقوانين تُشوّهه وتُحرّف فيه عندما تُعيد قصّه أو روايته والاستشهاد به.^(١) ومن ثمّ فإن الآليات التي يستعملها المعبر في تأويلها قد تتقاطع بطريقة أو بأخرى مع الآليات عينها التي يستعملها الناقد البلاغي عند تصديده لتحليل نصّ أدبي، وهو ما يؤكده أحد الباحثين الغربيين^(٢) الذي يذهب إلى أنّ عمليات التخيل الحلمية تجد طريقها إلى العمل الشعري للغة، فهي تشتغل بالطريقة نفسها التي تشتغل بها صور البلاغة التقليدية كالاستعارة والمجاز المرسل، ولذا يمكن القول - بحسب رأي هذا الباحث - أنّ البلاغة الكلاسيكية إلى حد ما قد اكتشفت وهي تحلّل أوجه الخطاب ميكانيكيات اللغة الحلمية!

ونجد الإمام القرافي الفقيه المالكي ينبّه على أن نصوص الرؤى ينبغي أن تعالج دلاليًا كما تعالج سائر النصوص اللغوية سواء بسواء، إذ إنّ مدلالوتها ليست بمعزل عمّا يعتري اللفظ العربي من انزياحات دلالية جرّاء عوارض الإطلاق والتقييد والعموم والخصوص... إلخ، فهي على حدّ وصفه: أمثلةٌ جعلت دليلاً على

(١) زيعور، علي: الأحلام والرموز، ط ١، بيروت، دار المناهل، ٢٠٠٢: ص ٢٥.

(٢) نويل، جان بيلمان: التحليل النفسي والأدب، ترجمة حسن المودن، القاهرة، ط المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧، ص ٢٨.

(٣) في كتابه: الذخيرة، تحقيق جماعة، ط ١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤: ٢٧٤/٢٧٥ - ٢٧٥. والفروق، القاهرة، ط دار إحياء الكتب العربية، ١٣٤٧هـ: ٢٤٩/٤.

المنامات تبدو أقدر منها على تفسير تلك الرموز، وهي ألصق بالأدب الذي لا ينفك بحال عن الثقافة الجمعية التي تشكل الهوية المميزة لأدب كل أمة عن آداب الأمم الأخرى، وهو ما يقرره بعض الباحثين الغربيين^(٦) من أن معاني الرموز قد تختلف باختلاف الدلالة الخاصة التي تنتجها لدى حضارات مختلفة، فالشمس مثلاً تختلف دلالتها - تبعاً لاختلاف وظيفتها - في البلدان الشمالية عما هي عليه في بلدان الشرق الأوسط، ففي الأولى تمثل الشمس رمزا للحياة والأمان لتوقف وفرة المحاصيل على وجود حرارة كافية، وفي الثانية حيث تسطع أشعة الشمس بقوة شديدة، فإنها تعكس مقدرة خطيرة ورهيبة ينبغي أخذ الاحتياطات اللازمة ضدها، وهكذا يمكن - بحسب الباحث نفسه - القول بأن اللغة الرمزية الجامعة تطوي علي لهجات مختلفة قد تجعل بعض الرموز ذات دلالات متضادة بحسب الاختلاف الثقافي بين منطقة وأخرى.

ويستثنى من ذلك - أعني توظيف ذلك المنهج التراثي الخاص - تلك التجارب الشعرية الحدائية ذات النزعة التغريبية التي تكلفت وأسرفت في توظيف الرموز الإغريقية في خطابها الشعري حتى إن الأمر ليبدو في كثير من الأحيان حشواً متعمداً - ومتكلفاً - لتلك الأساطير والرموز، وهو ما يصل إلى تسمية أبطالها صراحة في النص الشعري.

المحفوظ كما هو عليه، وهو كونه مانعاً للناس من الأكل والشرب، ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم، فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى، ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية.^(٤)

وتتوخى هذه الدراسة رصد وتحليل مناهج أرباب التعبير في تأويل الرؤى والأحلام من منظور بلاغي، وغايتها من ذلك تقرير أن الأدوات والطرائق التي يلجأ إليها المعبرون في تأويلاتهم لا تختلف في كثير من صورها عن نظيرتها التي يلجأ إليها البلاغيون عند درس النص الأدبي، والمثير في الأمر أن هذا التوافق بين فني التعبير والبلاغة جاء دون تقصّد أو سابق معرفة، لأن جل أولئك المعبرين مارسوا - شعروا بذلك أم لم يشعروا - ضرباً من التحليل البلاغي في تفسير نصوص الرؤى دون أن تكون لديهم خلفية معرفية متخصصة في هذا الميدان!^(٥)

والتراث العربي الوافر في هذا الباب يمثل مادة غنية نافعة يمكن أن تعيننا على التعرف إلى دلالات الرموز في الأدب وما يتواشج بينها من علاقات وإيحاءات، ويمكن الاعتماد عليها في تحقيق نتائج ذات صدقية مقنعة، وذلك خير من الاعتماد على مفاتيح الرموز المستمدة من الأدب الإغريقي الحافل بالأساطير والحكايات التي لا يسيغها الوجدان العربي لمخافتها لطبيعة تكوينه الثقافي والديني، وعلى هذا فكتب تعبير

(٤) إحياء علوم الدين، بيروت، ط دار المعرفة، د.ت: ٥٠٥/٤.

(٥) وهذا لا يمنع من كون بعضهم على وعي بالخطاب البلاغي بصفة عامة، غير أنه وعي لا يصل إلى درجة المعرفة العميقة المتخصصة له.

(٦) فروم، إريك: اللغة المنسية: مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير، ترجمة حسن قيسي، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥: ص ٢٣ بتصرف واختصار.

مفردات الحلم، ومن ثم تأويل الحلم ليكون أمر معقولا مفهوما حتى وإن بدت هذه العلاقة لكثيرين غير مقنعة ولا ذات صبغة منطقية، وهي أيضا لا تخلو من تكلف وربما تحلّ مبالغ فيهما بصورة كبيرة. وليس من أغراض هذه الدراسة مناقشة ما ذهب إليه إلا بما يمس صلب موضوعها، والمقصود أن طريقة التداعي وفقا لمنظوره النفسي تختلف تماما عن طريقة تداعي المعاني في اللغة الأدبية حيث الانتقال من اللازم إلى ملزومه، ومن الآلة إلى الفعل، ومن المعنى الأوّل إلى المعنى الثاني كما هو مبسوط في قضايا علم البيان على وجه الخصوص.

تعبير المنام ورعاية المقام

لعلّ أول ما بيد هنا عند دراسة مشتركات علمي التعبير والبلاغة اتفاهما التام على أن لكل مقام مقالا، وأن لكل منام تأويلا، وأنه يتوجب على المعبر أن ينظر في أحوال أصحاب المنامات قبل أن يُقدّم على تعبيرها، لأنّ تأويلاتها تختلف باختلاف أحوالهم، وليس هناك من خطاب تأويلي موحد يصلح أن يكون تفسيراً لكل الرؤى المتماثلة وإن تطابقت في تفصيلاتها الدقيقة:

فابن قتيبة في كتابه تعبیر الرؤيا^(١٠) يقرّر بجلاء هذا الأصل بالقول: "وقد تتغير الرؤيا عن أصلها باختلاف هيئات الناس وصناعاتهم وأقدارهم وأديانهم، فتكون لواحد رحمةً، وعلى الآخر عذاباً: كالغُلّ يراه الرجلُ

وإذا كان الحديث عن الأحلام وتفسيرها فلا بد من إلماعة سريعة إلى منهج التحليل النفسي في معالجة هذه الظاهرة، ورائد ذلك هو عالم النفس الشهير سيغموند فرويد^(٧) الذي يرى أن الأحلام ليست إلا تحقيقا مقنعا لرغبات مكبوتة، وكثير من الرموز الغريبة التي ترد فيها تشير إلى الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة، وعبر ما أسماه (التداعي الحرّ للأفكار)، فإنه في سبيل تفسير الحلم يحرص على توجيه وظيفة تلك الرموز نحو تقنيع الرغبة الدفينة وتخوير شكلها، ومن ثم فهو يحرص رموز الحلم في إطار هذا الحقل الدلالي المتماهي مع وظيفة الحلم عنده، وتغدو اللغة الرمزية للأحلام بمثابة كناية عن (شفرة سرّية)، وتسعى عملية تفسير الحلم إلى محاولة كشف سرّ هذا الشفرة.^(٨)

وما يعيننا هنا أن فرويد لم يقارب نص الحلم بطريقة تربط بين الرمز ومدلوله اللغوي، لأنّ طريقة تداعي الأفكار تقوم على كسر هذه الصيغة التلازمية بين الدالّ والمدلول، والاسترسال خلف توليد الأفكار دون أيّ قيد يضبط تلك العملية، ففي حلمه الخاص^(٩) الذي حلّله بطريقة التداعي نلاحظ بجلاء أنه قائم على استرجاع ذكريات ماضية ومحاولة إيجاد علاقة بينها وبين

(٧) انظر كتابه: الحلم وتأويله، ترجمة جورج طرابيشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٢، ولا سيما: ص ١٥-١٧، ٥٨-٧١، ٥٩-٧٢.

(٨) انظر: اريك فروم، اللغة المنسية: ص ٦٦ - ٦٧ بتصرّف.

(٩) انظر نص الحلم في: الحلم وتأويله ص ١٠، وفي الصفحات اللاحقة تفسيره له.

(١٠) ط ١، القاهرة، دار المدائن العلمية، ٢٠٠٥: ص ٣٤.

الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.^(١٣)

وستعمل هذه الدراسة على تأييد صحة هذا القول عبر استعراض آليات التأويل المستعملة في تعبير الرؤى في كتب أهل الفن، ومقارنتها بما يناظرها من أساليب بلاغية تتماهى معها شكلا ووظيفة.

طرائق التعبير وأساليب البلاغة

لا بد من الإشارة ابتداء إلى أنّ من الرؤى ما لا يحتاج إلى تأويل لظهور معناه صراحة كرؤيا إبراهيم عليه السلام في المنام في ذبح ولده كما حكى الله تعالى عنه بقوله ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ورؤيا النبي ﷺ في دخول مكة مع أصحابه في قوله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧].

كما أن كثيرا من تعبيرات المعبرين لا يمكن إدراجه تحت شكل من أشكال الاستعمال البلاغي وإن اجتهدنا في ذلك على سبيل التكلف والتمحل، فهذا ما تكشف عنه القراءة المتفحصّة لأشهر كتب التعبير، إذ لا تخلو هذه الكتب من تفسيرات يصعب علينا فهمها لتوقف ذلك على أعراف مرجعية خاصة بعصر معبريها، فمن هذا القبيل - على سبيل المثال -

في يده فهو مكروه لقول الله ﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي

أَعْنَاقِهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ وَجَلَّ جَهَنَّمُ فِي أَبْصَارِهِمْ يُرْجَوْنَ مِنْهَا الْجَاحِقَةَ كُلَّ يَوْمٍ أَذْنُ يَوْمِكُمْ هَذَا كَالْحِذْيِ وَالْجَحِيمُ يُبْقِعُ فِي أَعْيُنِهِمُ النَّارَ إِنَّهَا كَالشَّجَرِ الْأَثِيمِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقد يراه الرجل البر، فيصرف إلى أنّ يده تُقبَضُ عن الشرّ. ويشفع ذلك بما روي عن ابن سيرين أنّ رجلاً أتاه، فقال: رأيتُ كأني أؤذّن. فقال: تحج. وأتاه آخر، فقال: رأيتُ كأني أؤذّن. فقال: تُقطع يدك. فقيل له: كيف فرقتَ بينهما والرؤيا واحدة؟ قال رأيتُ للأول سيماءَ حسنة، فأولتُ ﴿وَإِذْنٌ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]. ورأيتُ للثاني سيماءَ غيرَ صالحة فأولتُ ﴿ثُمَّ أَذْنٌ مُّؤَدَّنٌ أَبْتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَّرْتُمُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]^(١١). وتمتدّ مراعاة المقام عنده^(١٢) في التأويل إلى مراعاة زمان الرؤيا بالتفريق بين رؤيا الليل ورؤيا النهار، وفصلي الصيف والشتاء.

فهذه المنهجية القائمة على التعاطي مع الرؤى باعتبار خصوصية المقام والمخاطب، وتفاوت التأويل للرؤيا عينها عطفًا على ذلك، هي منهجية تنكئ على الأصول النظرية ذاتها التي تقوم عليها قواعد البلاغة القائلة بالتفريق بين مستويات المخاطبين حال الخطاب، والمقرّرة لحقيقة أنه لا وجودَ لخطاب أدبي موحد صالح لكل المقامات ولجميع المخاطبين. ونلمس هذا التماثل بين المنهجين حين نقارن بين ما سبق وقول بشر بن المعتمر في صحيفته الشهيرة: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازنَ بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار

(١٣) البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ٤، القاهرة مكتبة

الخانجي، ١٩٧٥: ١/١٣٨ - ١٣٩.

(١١) السابق ص ٣٦.

(١٢) السابق ص ٣٣ - ٣٤.

أولاً: فنون الاستعارة

عند تعبير الرؤى التي تقوم بُنيتهَا على المشابهة تنصرف وظيفة المُعَبَّرِ إلى البحث عن شبيهه واقعي للمثل المتخيل المذكور في الرؤيا، وحينما يوفق المُعَبَّرُ لإصابة وجه الشبه الجامع بين الاثنين (المتخيل المذكور/الواقعي المقدر) تنفتح الرؤيا المشفرة على أفق من الانجلاء والانكشاف. وقد أشار الغزالي إلى الوظيفة التمثيلية التي تؤديها الأحلام، وأوماً من بعيد إلى البعد المجازي فيها حين نَبّه على أنها مصروفة عن ظاهرها الحقيقي، فقال: "التعبيرُ من أوله إلى آخره أمثال تُعرفك طريقَ ضَرْبِ الأمثال، وإثما نَعْنَى بالمثل: أداء المعنى في صورةٍ إن نُظِرَ إلى معناه وجدّه صادقاً، وإن نُظِرَ إلى صورته وجدّه كاذباً".^(١٧)

إن علاقة المشابهة هذه لا يمكن تكييفها بلاغياً إلا في شكل بيانيٍّ وحيد، وهو الاستعارة التصريحية تعييناً، فصيغ التشبيه الصريحة لا وجود لها في عالم الرؤى والأحلام، فمسرحتها - بحسب استقرار نصوصها - لا يتسع للجمع بين طرفي التشبيه معاً: المشبه والمشبه به، فيذكر المشبه به، ويطوى بالكلية ذكر المشبه، لأن الرؤيا مثل متخيلٍ مضروب لحال ما من أحوال الرائي، وتعبيرها باصطلاحهم الخاص: "الانتقال من الصور الخيالية المُشَاهِدة في المنام إلى ما هي صورٌ وأمثلة لها من الأمور الآفاقية أو الأنفسية الواقعة في الخارج"^(١٨).

تعبيرهم لرؤيا ركوب الفيل الواقعة نهارة بأنّ الرائي يطلّق امرأته!، وكما في تأويل رؤيا من رأى أنّه يُرَضَع صبيّاً أو يرتضع منه: بأنّه يُسَجَن ويُغَلَق عليه بابٌ.^(١٤) وهذا ما اقتضى - في حدود فهمنا للتأويل - استبعاد ما لا يخدم الدراسة من أشكال التعبير التي تستعصي على التكييف البلاغي.

وعلى هذا فمن المؤمل أن يكون لهذا النوع من الدراسات أثره الحميد العائد على منهجية علم التعبير نفسه، وذلك بجعل مسارات هذا العلم أكثر انضباطاً بشرائط توليد الدلالات التي تحفل بتحريرها الفنون البيانية، ممّا يضيف على مادته ثوبا علمياً مؤصلاً، ويُخلّصها ممّا حُشيت به من أقاويل وتأويل لا تستند إلى دليل أو تعليل.

وقد اقتضى ذلك من هذه الدراسة أن تأخذ حذرهما في التعامل مع موادّ تعبير الرؤى، وذلك باستبعاد ما كان منها من ذلك القبيل، والاحتفاء بتلك النماذج التي تتقاطع بصورة ملموسة مع التكييفات البلاغية. كما اعتمدت بصورة أساسية على مصادر موثوقة في علم التعبير، من مثل كتاب تعبير الرؤيا لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ، وكتاب شرح "البدر المنير في علم التعبير" للشهاب العابر المقدسي سنة ٦٩٢هـ^(١٥)، وكتاب تعطير الأنام في تعبير المنام لعبدالغني التابلسي المتوفى سنة ١١٤٣هـ.^(١٦)

(١٧) إحياء علوم الدين: ٤/٢٣.

(١٨) العمادي، أبو السّعود، تفسير إرشاد العقل السليم، تصحيح حسن مرعي والصادق قمحاوي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت: ٤/٢٨١ =.

(١٤) انظر: تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص ٣٣، ١١٧.

(١٥) بتحقيق حسين جمعة، ط١، بيروت، مؤسسة الريان، ٢٠٠٠ م.

(١٦) تحقيق وإعداد معروف زريق، ط٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠.

ويمكن تصنيفه بحسب ما جاء في كتب المعبرين إلى:

١- مُشابهة صُورِيَّة شكليَّة

ويتوصّل فيها المعبر إلى تفسير المعنى في الرؤيا بالبحث عمّا يناظره في الخارج في صورته الظاهرية، كما تراه في تأويل رؤيا من رأى أنّه يشرب من الأهله عسلا، ثم طار منها هلال، فوقع على رأسه. إذ عبّرت بكون الرائي بيطارا يداوي دابة، فتضربه بحافرها على رأسه. وعلّل ذلك بمشابهة الحوافر للأهله.^(٢١)

وكما في تأويل رؤيا من رأى أنّه قد صار سلحفاة في البحر بأنّه يصير حمّالا على أكتافه، وذلك على حدّ قول المعبر "لكون على قفا السلحفاة ذلك القشر، وهي تمشي على أربع كالحمال إذا نهض بحمله."^(٢٢) وتناويل رؤيا الدفّ بغلامٍ مقرّط، مُدوّر الوجه.^(٢٣)

وهذا الجامع يُعرف عند البيانيين بجامع الشّكل كما في الاستعارة الواقعة في قوله تعالى ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا﴾ [طه: ٨٨]، "فإنّ المستعار منه ولد البقرة، والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حليّ القبط، والجامع لهما الشّكل، والجميع حسيّ."^(٢٤)

٢- مشابهة حسية/عقلية

ويكون طرفا الاستعارة (المستعار منه/المشبه به، والمستعار له/المشبه) مُدرَكين بالحسّ، غير أن الجامع

وتغدو وظيفة المعبر الأساسية العمل على تعيين المشبه المغيب الذي سيق من أجله المثل المناميّ، مستهديا بوجه الشبه الذي يستخلصه باجتهاده من المشبه به، ومن ثم يبدأ التنقيب عما يناظره من المشبهات المتاحة.

ولو أخذنا مثلا على ذلك رؤيا الملك في قصة نبيّ الله يوسف (ع) فإننا نجد المذكور فيها: البقرات السبع السمان اللاتي يأكلهنّ سبعٌ عجاف، والسنبلات السبع خضر، وأخواتها اليابسات. وكان تعبير يوسف لها قائما على افتراض شبيه لكلّ منها من السنين والأعوام^(١٩)، لأنّ الرؤيا لا يتضح مغزاها إلا بتعيين من ضُرب لأجله المثل. وقس على هذا النحو أكثر الرؤى، كرؤيا يوسف المذكورة في صدر السورة الكريمة إذ رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدين له، وكان تأويلها الصادق في ختام القصة بسجود والديه وإخوته له.

على أن أهمّ ما يميّز التكيف الاستعاري في تأويلات المعبرين تلك الطريقة التي يتوصّلون إلى تحديد الجامع في الاستعارة، وهو بلغة البلاغيين: ما قُصد اشتراك الطرفين فيه، وهو الذي يُسمّى في التشبيه وجهها.^(٢٠)

= والمراد بالأنفسية: أحوال النفس، وبالآفاقية: الأجوال الجارية في

الآفاق. انظر: طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ١ ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥: ١/٣١١-٣١٢.

(١٩) وهذا على القول بأنّ تعبيره للرؤيا كان اجتهادا منه، ولم يكن من قبيل الوحي الإلهي. انظر: تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي، ١ ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م: ١٨/١١٤-١١٥.

(٢٠) التفتازاني، سعد الدين: المطول شرح التلخيص، تحقيق عبدالحميد هندراوي، ١ ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١: ص ٥٨٩.

(٢١) شرح البدر المنير ص ٢١٧.

(٢٢) المرجع السابق ص ٢٦٧.

(٢٣) المرجع السابق ص ٣٩٣.

(٢٤) القزويني، الخطيب: إيضاح التلخيص، شرح محمد خفاجي، ط ٣، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٩: ص ٤٢٦-٤٢٧.

أنه صار جرادة بأنه يأخذ الثمار والزروع ظلماً.^(٣٠) لأنّ الجراد معروف بإتلافه الزروع والمحاصيل. وتعتبر هذه المشابهة أيضاً في رؤيا الملائكة، فمن رأى ملكاً موكلاً بوظيفة ما كان تأويل رؤياه بمن يقوم بما يشبه وظيفته من أهل الدنيا كالحازن والرسول وغير ذلك.^(٣١) وربما وقع الانتقال الدلالي في مسار معاكس، فرؤيا الجزار مثلاً في المنام تعبّر بملك الموت!^(٣٢)

وقد تقع المشابهة الوظيفية بين أعضاء بدن الإنسان وما تقوم به من وظائف، كما في تأويلهم بيع الأطلجة - جمع الطحال - ببيع المراوح، وعللوا ذلك بأن وظيفة الطحال - بحسب معرفة ذلك الزمان - الترويح على الكبد.^(٣٣) وكتأويلهم رؤيا من رأى أنه قد تقطعت معدته بأنه ينكسر له قدر، أو يخرب له مطبخ، وأيدوا ذلك بأن المعدة تطبخ كل ما يجيء إليها.^(٣٤) وكتأويل الأنف بالكبير أو المنفخة فإن رأى صاحبهما أنه حدث بأنفه حادثٌ شرٌّ تعطلت عليه صنعته.^(٣٥)

وربما تعددت وجوه الجامع بين الطرفين في هذا النوع، فتماثلاً في وجوه شتى من الأعمال والصفات والطباع كما في تعاطيهم مع رؤيا من رأى أنه صار يربوعاً، فأولت رؤياه على أنه رجل كثير الحذر والحيل، لأنّ عليه حقوقاً ومطالبات، فاتخذ لداره أبواباً

بينهما هو أمر عقلي، وهو النوع المسمّى عند البيانيين^(٣٥): استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي. وتجذ ذلك في تأويلهم الجبل في الرؤيا بالرجل الجليل القدر لعلو وارتفاعه^(٣٦)، والطرفان وإن كانا محسوسين فإن الجامع بينهما غير مدرك بإحدى الحواس الخمس، بل هو عقلي لما استقر في الأذهان من اشتراك الاثنين في الرفعة والعلو.

وكتأويلهم الصخور برجال قساة القلوب^(٣٧)، وهذا كسابقه لأنّ قسوة القلب مفهوم معقول لا محسوس. وكتأويلهم الطبل بالرجل الجسيم المنظر عديم المخبر^(٣٨)، والجامع بينهما الخلو من الفائدة مع المظهر المطمع في كل، وهو أمر معقول.

٣- مشابهة وظيفية

وفي هذا الضرب من الاستعارة يكون الجامع بين طرفي الاستعارة تماثلها فيما يقومان به من عمل، ويكثر لجوء المعبرين لهذه الوسيلة الاستعارية في تأويل ما يُرى في المنامات من حيوانات وحشرات، فالعنكبوت عندهم يدل على الحائك لاشتراك الاثنين في وظيفة النسج كما في تأويلهم رؤيا من يأكل العنكبوت بأنه يأكل أموال الحاكة.^(٣٩) وكتأويل النحل بالزهاد لكثرة خيرهم ونفعهم، وتأويل رؤيا من رأى

(٢٥) انظر: - السكاكي، يوسف: مفتاح العلوم ضبط نعيم زرزور، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣: ص ٣٨٨ - القزويني، الخطيب: إيضاح التلخيص ص ٤٢٦.

(٢٦) شرح البدر المنير ص ٢٥٤.

(٢٧) المرجع السابق ص ٢٦٠.

(٢٨) المرجع السابق ص ٣٩٢.

(٢٩) المرجع السابق ص ٢٩١، ٣٠٢.

(٣٠) المرجع السابق ص ٣٠٢.

(٣١) المرجع السابق ص ١٨٤ وما بعدها.

(٣٢) تعطير الأنام ص ١٢٣.

(٣٣) شرح البدر المنير ص ٤٥٦.

(٣٤) المرجع السابق ص ٤٥٧.

(٣٥) تعطير الأنام ص ٥٧.

والضَّلَع هي المرأة، لأنَّ المرأة خُلقت من ضِلَع أعوج.^(٤٠) وكتأويلهم المُخاط في الرؤيا بالولد، قال ابن قتيبة: "لما جرى على ألسنة الناس من قولهم لمن أشبه أباه: هو مَخْطَةُ الأسد."^(٤١)

تعدد دلالات المستعار منه

وقد ترتب على اختلاف وجوه الجامع بين المستعار منه (المشبه به) والمستعار له (المشبه) تعدد دلالات المستعار منه في الرؤيا، فيفسر في موضع بخلاف ما فُسر به في موضع آخر. ولناخذ لذلك مثالا، وهو تباين دلالة الشمس والقمر من رؤيا لأخرى:

- فهما يؤولان في العديد من الرؤى بالجليل القدر كالمملك والولاء والآباء، وذلك "لعموم انتفاع الناس بهما، ولضرر بعضهم منهما"^(٤٢). وعلى هذا فتكون استعارتهما هنا من قبيل الاستعارة الحسية العقلية، لأنَّ الجامع بين طرفيهما مدرك بالعقل، وهو النباهة وعلو الشأن.

- كما يؤولان أحيانا بالذهب والفضة كما في تعبير رؤيا من رأى أنه يجمع بين الشمس والقمر، فيأخذ من هذا ويضعه في الآخر^(٤٣). والجامع بين طرفي الاستعارة هنا هو الشبه الصوري بين الشمس والدينار الذهبي، وبين القمر والدرهم الفضي، وذلك في اللون والاستدارة، فتكون استعارتهما من قبيل الاستعارة الصورية الشكلية.

كثيرة، فيدخل من أحدها، ويخرج من آخر.^(٣٦) واليربوع معروف بذلك، لأنه يتخذ لجره مسارب عدّة ليفلت من يروم اصطياده، قال الجاحظ: "ولهذه العلة اتخذ اليربوع القاصعاء والنافقاء والدأماء والراهطاء، وهي أبواب قد اتخذها لحفيرته، فمتى أحسَّ بشرٌّ خالف في تلك الجهة إلى الباب."^(٣٧)

٤ - مشابهة عرقيّة

ومبنى المشابهة بين طرفي هذه الاستعارة مستند إلى عُرف ثقافي سائد في أوساط أهل اللغة، ولأجل هذا العُرف ساغ افتراض وجود تلك المشابهة بينهما، وإن كان الناظر قد لا يجد مسوغا عقليا كافيا لإقناعه بوجود ذلك الشبه فعلا. ومن ثمَّ فإنَّ المعبر العارف بقواعد هذا العُرف يتوسل به إلى تسمية المستعار له ليتسنى له تعبير الرؤيا.

فمن ذلك: تأويلهم الكباش في الرؤيا بالرجل جليل القدر صاحب الأمر والنهي^(٣٨)، لأنَّ العرب جرت عاداتها أن تسمي رئيس القوم وسيدهم كبشا، وكباش الكتيبة قائدها.^(٣٩)

ومنه: تأويلهم الغراب في الرؤيا بالرجل الفاسق، والفأرة بالمرأة الفاسقة، والضلع بالمرأة، قال ابن قتيبة: "فالغراب هو الفاسق، لأنَّ النبي ﷺ سمّا فاسقا، والفأرة هي المرأة الفاسقة، لأنه ﷺ سمّاها فاسقةً."

(٣٦) شرح البدر المنير ص ٢٩٣.

(٣٧) الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩: ٤٣/٦.

(٣٨) شرح البدر المنير ص ٢٧٧.

(٣٩) انظر: مادة (ك ب ش) عند ابن منظور في لسان العرب، ط دار صادر، بيروت، د.ت: ٦/٣٣٨.

(٤٠) تعبير الرؤيا ص ٢٢.

(٤١) المرجع السابق ص ٢٧.

(٤٢) شرح البدر المنير ص ٢١١-٢١٣.

(٤٣) المرجع السابق ص ٢١٣.

الاستعارة المنامية بين التجريد والترشيح

من وجوه التماثل المستظرفة بين الاستعارة البلاغية وشقيقتها المنامية قابلية كل منهما للترشيح

والتجريد، والمراد بترشيح الاستعارة عند البيانين: اقترائها بما يلائم المستعار منه (المشبه به)، وتجريدها:

اقترائها بما يلائم المستعار له (المشبه).^(٤٤)

فالترشيح قائم على تناسي المستعار له، وذلك بتعزيز حضور المستعار منه بذكر أفعال أو صفات يختص بها دون المستعار له الذي يطوى ذكره بصورة

تامة، وهو ما سيزيد من صعوبة مهمة المعبر في تعيينه.

وأما التجريد فإنه على الضد من ذلك، فهو يُسهّل

عليه، إذ يرشده - بما يذكره من أوصاف المستعار له

وأفعاله - إلى تعيين الرموز له في الرؤيا.

فعلى سبيل المثال تأتي استعارة الشمس منامياً في

بعض الرؤى مرشحة، وفي بعضها مجردة:

فمن الترشيح ما وقع في رؤيا من رأى أن الشمس

خرجت منها ناراً، فأحرقت نجوماً من حوايلها،

وأولت على أن الملك يطرد حاشيته^(٤٥). فذكر النجوم

المحيطة بالشمس، وانطلاق أشعة نارية منها، وصفان

يلائمان المستعار منه (الشمس)، فتكون الاستعارة

بذلك مرشحة.

وكذلك في رؤيا من "رأى بها كسوفاً أو غشاها

سحاباً أوتراكم عليها الغبار أو الدخان كان ذلك

دليلاً على حادث من مرض أو هم أو غم أو كرب^(٤٦) وهذه الأوصاف كالكسوف وغشية السحاب ونقص النور تعمل على تكثيف حضور المستعار منه في المشهد المنامي على حساب المستعار له.

وأما التجريد فيعمل على إسباغ طابع إنساني على مشهد الرؤيا وهو ما يؤدي تبعاً إلى تحجيم حيز التخيل، ويقرب الرؤيا إلى عالم الواقع المحسوس، فيسهل تعبيرها. فمن ذلك: ما جرى في رؤيا يوسف عليه السلام من سجد الشمس والقمر والكواكب له، والسجود فعل إنساني يلائم المستعار له، وعليه فإن وظيفة المعبر تنحصر في تعيين أولئك الساجدين.

وكما في تأويلهم لرؤيا من رأى أن الشمس كلمته

بأنه يُصيب رفعةً من قبل الخليفة، وكذلك القمر^(٤٧).

والكلام وصف ملائم للمستعار له (الخليفة)، ففيه

تجريد للاستعارة. وقريب من هذا رؤيا تقاثل الجبال

المؤولة بتقاتل الأكابر^(٤٨)، فالتقاتل فعل إنساني لا شأن

للجبال به.

المستعار له (المشبه) الوصف المستعار منه (المشبه به)

← ← ←

الإنسان الكسوف ترشيح الشمس

→ → →

الإنسان تجريد الكلام الشمس

(٤٦) المرجع السابق ص ٢٨٩.

(٤٧) المرجع السابق ص ٢٨٩.

(٤٨) شرح البدر المنير ص ٢٥٦.

(٤٤) إيضاح التلخيص ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٤٥) تعطير الأنام ص ٢٨٩.

الصور الاستعارية المركبة

والمقصود بها تلك الاستعارة التي تنتظم في نسق واحد عدداً من الاستعارات المتعاقبة. وهي تقترب شكلياً من الاستعارة المختلطة Mixed Metaphor التي تعرف بأنها "استعمال استعارتين أو أكثر تتضمن تماثلات ومقارنات لا تتناسب فيما بينها وبصورة غير منطقية."^(٤٩) كما تختلف أيضاً عن الاستعارة التمثيلية التي تسمى أيضاً مجازاً مركباً^(٥٠).

إنّ العديد من الرؤى النامية يمكن التعامل معها على أنّها استعارات مركبة، وعلى هذا النهج كان تعاطي المعبرين معها، إذ كانوا يعمدون إلى تفكيكها إلى عدد من الاستعارات الجزئية، والعمل على تفسير كل منها بتسمية المستعار له المضمر المقابل للمستعار منه المذكور في الرؤيا، ثم نظم هذه المسميات في نسق جملة مفيدة ليتيسر للرائي تفسير رؤياه.

فمن نماذجها:

- رؤيا من رأى أنّه صار عصفوراً يأكل العنكبوت. إذ أولت على أنّ الرائي كثير الكلام وهو يأكل أموال الحاكة، ودليله أنّه ينسج كالحائك^(٥١). ولو جعلنا الرؤيا الرؤيا بموازاة تأويلها لاكتشفنا العلائق الاستعارية

(٤٩) فتحي، إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، ط ١، تونس، المؤسسة العربية للناشر المتحدّين، ١٩٨٦: ص ٢١-٢٢ بتصرف لما في الكلام من عجمة!

(٥٠) انظر: مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية، ط ١، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٦: ١/١٥٦-١٥٧.

(٥١) شرح البدر المنير ص ٢٩١.

الحابكة التي تمتد بين العناصر المؤلفة لكل من المفسر والمفسر:

الرؤيا:	عصفور	يأكل	العنكبوت
↓	↓	↓	↓
الجامع	كثرة	الإتلاف	مشابهة
الاستعاري:	التصويت	وظيفية	
↓	↓	↓	↓
التأويل:	كثير الكلام	يسرق	الحائك

- ورؤيا من رأى سيلاً يأخذ حصى البلد. فقد كان تأويلها: وقوع وباء يفتك بعامة أهل البلد. وهذه خطأ تفسيرها:

الرؤيا:	سيل	يأخذ	الحصى
↓	↓	↓	↓
الجامع	تلف عام	يصيب	كثرة العدد
الاستعاري:			
↓	↓	↓	↓
التأويل:	وباء	يهلك	العامة

- ومن أظرف ما ورد في هذا الباب رؤيا انتظمت في سلكها خمس استعارات معاً! إذ حكى الرائي أنّه صار ديكا واقفاً على قرني ثور ينقر دجاجةً في سلّة تحته، فكان تأويلها أنّه مؤذن على منارتين يؤذي امرأة في دارها بكلام رديء^(٥٢):

(٥٢) شرح البدر المنير ص ٣٠٨.

ولهذه التقنية الاستعارية حضورها الملحوظ في تعبيرات المُعَبَّرِينَ، وهو الأمر الذي يؤكد تشابه مسلك الفريقين - بيانين ومُعَبَّرِينَ - في تحليل التصوير الخيالي في مادة درسهم، فمن نماذج ذلك:

- تأويلهم للسفينة في المنام، فإنهم يؤولونها بمملكة المَلِك والجامع بينهما السلامة من الشدائد لمن كان فيهما، فهي من قبيل الاستعارة الوظيفية. ثم يعمدون إلى كل جزء من المستعار منه (السفينة) فيجعلون له مقابلاً في المستعار له (الملك) ليتضح التأويل، كما فعل عبدالقاهر في استعارة امرئ القيس السالفة مع مراعاة الفارق بين طبيعة الحقلين.

فَقَلْعُهَا - وهو الشَّرَاع - وزيرُ الملك وصاحب أمره ونهيه، ورجلها - أي: مقودها - مُقَدَّم عساكره، ومقاديفها - أي: مجاديفها - غلمانه وجنوده ودوابه.^(٥٤)

- وتأويلهم للبحر بالملك، والجامع بينهما المرهويّة في كلِّ، وتفريعا على ذلك فإنهم يستعبرون السمك لرعية الملك وجنوده وغلمانه، لتكتمل بذلك لوحة الاستعارة المنامية. وربما أوّلوه بالتاجر بجامع وفرة الرزق في كلِّ، واستعاروا السمك لمكاسبه وأرباحه.^(٥٥)

- وتأويلهم البئر الحارة المبدولة لكلِّ بالمرأة غير العفيفة، والجامع بينهما عدم الامتناع في كلِّ. ثم يذهبون إلى مدّ الاستعارة عبر إلحاق استعارات أخرى بها، مبنية على فكرة الاستعارة الأمّ، فيجعلون حبال

الرؤيا:	ديك	على قرني	ينقر	دجاجة
	↓	↓	↓	↓
الجامع	مشابهة	مشابهة	إيذاء	الأنوثة
الاستعاري:	وظيفية	صوريّة	بالغم	والضعف
	↓	↓	↓	↓
التأويل:	مؤذن	على	يؤذي	امرأة في
			منارتين	بكلامه
			دار	

الصور الاستعارية الممتدة

ونعني بها تلك الاستعارة المركزيّة التي تتفرّع عنها استعارات ثانوية تعمل على تقوية حضور الاستعارة الأم وإثراء مادة الخيال فيها. وهي التي عناها عبدالقاهر في قوله: "ومّا هو أصلٌ في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدّة استعارات قصداً إلى أن يلحق الشكّل بالشكّل، وأن يُتمّ المعنى والشبه فيما يريد، مثاله قول امرئ القيس:

فقلتُ له لما تَمْطَى بصلْبِه
وأردفَ أعجازاً وناءً بكلِّكلٍ
لما جعلَ لليلِ صُلْباً قد تَمْطَى به ثنى ذلك فجعل له
أعجازاً قد أردفَ بها الصُّلْبَ، وثلثَ فجعل له كلِّكلاً
قد ناء به. فاستوفى له جملة أركان الشَّخْص، وراعى
ما يراه النَّاطِرُ من سواده إذا نظرَ قَدَّامَه، وإذا نظرَ إلى ما
خلفه، وإذا رفعَ البصرَ ومدّه في عُرْضِ الجوّ."^(٥٦)

(٥٤) شرح البدر المنير ص ٢٧١.

(٥٥) المرجع السابق ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٥٦) دلالات الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ط ٣، القاهرة، مطبعة

المدني، ١٩٩٢: ص ٧٩.

١- الجزئية

وهي: كون الشيء يتضمّن شيء آخر^(٥٨). فيُسمّى الكلُّ باسم جزءٍ منه. فمن ذلك:

- تأويلهم العين بالجاسوس، لأنّها أهمّ جزء فيه، وقد درج البلاغيون على التمثيل لهذه العلاقة بالمثال نفسه^(٥٩). ويبدو ذلك في تأويلهم لرؤيا ملك أنّه يكحل عُيوننا ننظر إليه بالتراب، فعبّرت بظفره بجواسيس^(٦٠). ورؤيا ملك أيضا أنّه عمي، فأولت بانقطاع الأخبار عنه لاعتقال جواسيس له^(٦١).

- وتأويلهم الإذن بصاحب الأخبار^(٦٢)، وأذن الملك - في تعبيرهم -: جاسوسه^(٦٣) لأنه يتحصّل الأخبار عن طريقها، فهي بمثابة العين من الجاسوس. وهو نظير ما ذكره البلاغيون^(٦٤) في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١].

(٥٨) الصّبان، محمد بن علي: الرسالة البيانية، بحاشية عليش، تحقيق أحمد المزيدي، ط١، بيروت دار الكتب العلمية، ٢٠٠١: ص ١٥٤.

(٥٩) انظر مثلاً: إيضاح التلخيص ص ٣٩٩، والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطبي، تحقيق هادي عطية، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٧ ص ٢٢٥.

(٦٠) شرح البدر المنير ص ٣٥٩.

(٦١) المرجع السابق ص ٤٥٩. وانظر أيضا ص ٤٤٠.

(٦٢) المرجع السابق ص ٤٤٠.

(٦٣) تعطير الأنام ص ٤٠.

(٦٤) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، القاهرة، ط مصطفى السباي، ١٩٦٦/١٩٩٠. والرسالة البيانية ص ١٥٧.

البئر غلمان المرأة، ويجعلون أواني البئر بمثابة عشاقها المتعلّقين بها^(٥٦).

ثانياً: المجاز المرسل

يُعرّف المجاز المرسل بأنّه استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ له في اصطلاح التخاطب لعلاقة غير المشابهة وقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي^(٥٧). وتقييد علاقاته بـ (غير المشابهة) يخرج الاستعارة من ما صدقيّات المجاز المرسل. وعلاقات هذا المجاز متعدّدة، وكلُّ منها تمثل جسراً دلالياً يصل بين المعنى الحقيقي الأصلي للفظ (المنقول منه) والمعنى المجازي المستحدث (المنتقل إليه)، ولولاها لكان استعمال اللفظ ضرباً من الغلط الذي لا وجه له، ولذا تُوسم العلاقة في عُرف البلاغيين بأنّها علاقةٌ مُصحّحة.

وتكشف مناهج المعبرين في تأويل الرؤى عن تشابه كبير بين صنيعهم ومنهج البلاغيين في تحليل التعبيرات المجازية، إذ توجّهت همّة المعبر في تأويل هذا الضرب من الرؤى إلى الكشف عن العلاقة الدلالية التي تربط بين المعنى الحقيقي للفظ المذكور في الرؤيا ومعناه المجازي حيث يكون به التأويل، فما الرؤى سوى مجازات لغوية مصروفة بوجه من وجوه التأويل (العلاقة) عن معناها الحقيقي غير المراد.

وهذه أشهر العلاقات المجازية المستعملة في تأويلات

المُعبرين:

(٥٦) المرجع السابق ص ٢٧٠.

(٥٧) انظر: إيضاح التلخيص للقرظيني ص ٣٩٤، ٣٩٧، ومعجم المصطلحات البلاغية لأحمد مطلوب: ١٩٣/٣.

عند دفع الجسم.^(٧١) فالعرق مُسبَّب عن دفع الكسوة، فأطلق المسبَّب وأريد السبب.
- وتأويل الجُشاء في المنام بالغنى للفقير^(٧٢)، لأنَّ التجشؤ لا يكون إلا عن شِبَع، فعلاقته به علاقة المسبَّب بالسبب.

٤ - الآلية

وهي: كون الشيء واسطةً في إيصال أثر المؤثر إلى المتأثر.^(٧٣) ويمثّل لها البلاغيون^(٧٤) باستعمال اللسان بمعنى اللغة لأنّه آلتها، ويستشهدون لذلك بقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ﴾ لإبراهيم: ٤٤. وعلى هذا النحو يحمل المعبرون^(٧٥) اللسان في الرؤى، فهو يدلُّ على الترجمان وعلى الفصاحة، لأنّه آلتها.

ولهذه العلاقة حضورها الكثيف في تأويلات المعبرين، فهم يُفسِّرون الآلة - المذكورة في الرؤيا - بما تؤدبه من أعمال، كما ترى في النماذج الآتية:
- فهم يؤوِّلون الإبرة في الرؤيا بما تقوم به من إصلاح ورتق لما تمزَّق من ثياب، فهي لصاحبها دليل على صلاح أمره وجمعه أو التمامه، لا سيّما إن كان فيها خيط وكان يخيط بها فإنه يلتئم شأنه ويجمع له ما كان من أمره متفرقاً.^(٧٦)

- وتأويلهم الريش بالطائر، لأنّه جزء منه، كما في تأويلهم لرؤيا مَنْ رأى أنّه يأخذ ريشاً من جاموس بأنّه يسرق طيوراً من رجل جليل القدر.^(٦٥)

٣ و٢ - السببية والمسببية

معنى السببية: كون الشيء سبباً ومؤثراً في شيءٍ آخر.^(٦٦) وليس غريباً أن يتواطأ الفريقان على التمثيل لهذه العلاقة بالمثل نفسه، وذلك لما بين منهجهما من تماثل وتقارب. فالبلاغيون يمثّلون لها بإطلاق اليد على النعمة، "لأنّ من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها."^(٦٧)

والمعبرون لا يخالفونهم في ذلك، قال ابن قتيبة: "ومن رأى في يده طولاً: كان ذلك طولاً على الناس وإنعاماً، لقول العرب: هو أطولُ يداً منك بالمعروف والجدة."^(٦٨) وقالوا: اليد في المنام: إحسانُ الرجل.^(٦٩) فأطلق السبب (اليد)، وأريد المسبَّب عنها (النعمة).

والمسببية: كون الشيء مُسبباً ومتأثراً عن شيءٍ آخر.^(٧٠) ومن شواهدِها في كتب المعبرين:

- رؤيا صُعلوكٍ في زمن الشتاء أنّه عرق عرقاً كثيراً، فأوِّلت بحصوله على كسوة، لأنّ العرق لا يكون إلا

(٦٥) شرح البدر المنير ص ٢٨٢.

(٦٦) الرسالة البيانية ص ١٥٢.

(٦٧) إيضاح التلخيص ص ٣٩٧. وانظر أيضاً: المطوّل للسعد ص ٥٧٦، والتبيان للطبي ص ٢١٩.

(٦٨) تعبير الرؤيا ص ١١٠.

(٦٩) تعبير الأنام ص ٤٧٨.

(٧٠) الرسالة البيانية ص ١٥٢.

(٧١) شرح البدر المنير ص ٤٦٤.

(٧٢) تعبير الأنام ص ١٢٤.

(٧٣) الرسالة البيانية ص ١٥٢.

(٧٤) كما في إيضاح التلخيص ص ٤٠٣، والتبيان للطبي ص ٢٢٤.

(٧٥) شرح البدر المنير ص ٤٥٤، وتعبير الأنام ص ٤٠٦.

(٧٦) تعبير الأنام ص ٣٥.

- كما تدلُّ على من يقوم بعمل مشابه لها من بني البشر، فالصناديق والخزائن في الرؤى بمعنى الحراس والأمناء^(٨٣). والمطرقة في تأويلهم تدلُّ على صاحب الشرطه^(٨٤)، لأنه يضرب الناس بسوطه، فهو يشابهها من هذا الوجه. والمنخل عندهم رجل يفرق بين الأحبة، فهو يدلُّ على مضرّة وتشتيت، لأنه يُقسّم الأشياء ولا يجمعها^(٨٥).

- وتدلُّ أيضا على أفعالٍ أخرى مُشابهة لفعالها، وكأنّ الدلالة هنا تتولّد من مزج الاستعارة القائمة على المشابهة بالمجاز المرسل ذي العلاقة الآلية. كدلالة الميزان على عدل القاضي^(٨٦)، فهو يدلُّ أولا على معنى التكافؤ والتساوي بناء على علاقة مجاز الآلية، وثانيا على القضاء بالعدل باستعارة الميزان له بجامع عدم الميل في كل:

← ← ←

الميزان	علاقة الآلية	المساواة	علاقة المشابهة	العدل
---------	--------------	----------	----------------	-------

وكدلالة المنجنيق على القذف بكلام عظيم وبُهتان^(٨٧)، فدلالته أولا على القذف المادي من باب مجاز الآلية، ثم استعير للقذف اللساني بجامع الإيلام في كل ثانياً:

- ويؤوّلون البوق بالصيّت الحسن^(٧٧)، لأنّه آلة يُنفخُ فيها فتُصدر صوتا جهيرا، ومن ثمّ فالعلاقة ظاهرة بين الانتشار المادي للصوت والسّمة الحسنة الشائعة في النَّاس.

- ويؤوّلون الدرّع في المنام بالوقاية من الأعداء^(٧٨)، لأنّه يحمي المقاتل من ضربات عدوّه.

وتتميز المساحة التأويلية لهذه العلاقة عند المعبرين باتساعها بخلاف ما هي عليه عند البلاغيين الذين كانوا أشد صرامة في التعاطي معها بحدّة منطقية، فقصرُوا الدلالة المجازية للآلة على ما تقوم به من عمل فقط. على حين أن المعبرين لا يُعوّلون كثيرا على تلك المقاييس المنطقية، فليس ثمّ ما يمنع عندهم من اتساع أفق تلك الدلالة لتتجاوز فعل الآلة إلى مدلولات أخرى:

- فهي تدلُّ على مستعمل الآلة نفسها، كدلالة المكتسة على الخادمة، فإن كانت خشنة فهي المتعاصية من الخدمة^(٧٩). وكدلالة القلم على الكاتب والفقير^(٨٠)، لأنه آلة الكتابة والعلم. وكدلالة المفتاح على البواب^(٨١). وكدلالة الأسرة والكراسي والمنابر على أهل العزّ والجاه^(٨٢).

(٧٧) المرجع السابق ص ٨١.

(٧٨) المرجع السابق ص ١٩٣.

(٧٩) المرجع السابق ص ٤٣٧.

(٨٠) شرح البدر المنير ص ٣٥٢.

(٨١) المرجع السابق ص ٣٨٧.

(٨٢) المرجع السابق ص ٣٧٢-٣٧٣.

(٨٣) المرجع السابق ص ٣٨٨.

(٨٤) تعطير الأنام ص ٤٣٢.

(٨٥) المرجع السابق ص ٤٤١.

(٨٦) تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص ٩٩، وشرح البدر المنير ص ٣٨٨.

(٨٧) تعطير الأنام ص ٤٤١.

- فتأولوا لبس الخوذة على ملبوسها وهو الرأس ،
فهي دالة عندهم على الأمن من أوجاع رأسه^(٩٠) .
- وتأولوا أيضا حمل شيء على الرأس بإصابته
بوجع يؤلمه^(٩١) .

- كما يؤولون جلد الإنسان بالسترة والثياب^(٩٢) ،
وقد تدل الأذن عندهم على ما يُعلق فيها من
المصوغات.^(٩٣)

٦- الضدية

وفيهما يُسمّى الشيء باسم ضده ، كإطلاق الحي على
الميت ، والعكس.^(٩٤) ويُسمّيها بعض البلاغيين الاستعارة
التهكمية^(٩٥) ، ويمثلون لها بقوله تعالى ﴿

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لآل عمران: ٢١، إذ عبّر عن الإنذار
بضده وهو البشارة على سبيل التهكم بهم.

والمعبّرون يقرّرون في كتبهم مبدأ تأويل الرؤيا
بضدها ، فابن قتيبة^(٩٦) ينصّ على أن البكاء في الرؤيا:
فرح ما لم يكن معه رنة ولا صوت ، والفرح والضحك
فيها: حزن. ويحكي أيضا قولهم في الرجلين

(٩٠) تعطير الأنام ص ١٨٢- ١٨٣ .

(٩١) شرح البدر المنير ص ٣٦٦ .

(٩٢) تعطير الأنام ص ١٢٦ .

(٩٣) المرجع السابق ص ٤٠ .

(٩٤) انظر: الجرجاني ، محمد بن علي : الإشارات والتنبيهات في
علم البلاغة ، تحقيق عبدالقادر حسين ط ١ ، القاهرة ، دار نهضة
مصر ، ١٩٨٢ : ص ٢٣٧ .

(٩٥) انظر: إيضاح التلخيص ص ٤٢٠ ، ومعجم المصطلحات

البلاغية لأحمد مطلوب: ١ / ١٥٨ .

(٩٦) في تعبير الرؤيا ص ٣٠ .

← ← ←

علاقة القذف علاقة المنجنيق
الآلية الماديّ المشابهة اللسانيّ
٥- المجاورة

وهي: كون الشيء مُجاوراً لشيء آخر في مكانه^(٨٨) .
فُيطلق اسم المُجاور على مَنْ جاوره تجوّزاً ، ويُمثّل
البلاغيون^(٨٩) لهذه العلاقة بإطلاق الراوية على المزايدة
- قربة الماء - ، مع أنها في الأصل تُطلق على البعير
الحامل لها. وتشير جملة من تأويلات المعبرين إلى أنهم
قد فطنوا لهذه العلاقة المجازية ، فكانوا يفسّرون الرمز
المنامي بما هو مجاور له مكانياً في عالم الواقع ، وتأتى
لهم بذلك تقديم تفسير معقول يزيل الإبهام الذي
يسيطر على لغة الرؤى ودلالات رموزها:

- فمن أبرز شواهد ما وقع في تأويل النبيّ
يوسف (ع) لرؤيا صاحب السّجن التي حكاهها الله
تعالى بقوله ﴿ وَقَالَ الْأَخْرُ إِنِّي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي
خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴾ [يوسف: ٣٦] ، وكان تأويلها
في قوله ﴿ وَأَمَّا الْأَخْرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ

رَأْسِيهِ ﴾ [يوسف: ٤١] ، فالمأكول منه في الرؤيا هو
الخبز المحمول فوق الرأس ، ووقع التأويل بمجاوره وهو
الأكل من الرأس نفسه. وبهذا التأويل اقتدى المعبرون
عند تفسيرهم الرؤى المتضمنة لما هو مجاور للرأس ،
وقاسوا على الرأس غيره من أعضاء البدن.

(٨٨) الرسالة البيانية ص ١٧٠ .

(٨٩) انظر: إيضاح التلخيص ص ٣٩٨ ، والرسالة البيانية ص ١٧٠ .

الأرض كناية عن صفة المتاجرة، لأنّ شأن التاجر أن يُسافر لبيّاع ويبيع، فهو يضرب الأرض برجليه أو دابّته.^(١٠١)

- وتأتي عليهم لرؤيا من رأى أنّ يديه مبسوطتان فهو سخيّ يجود بكلّ ماله، ومن رأى أنّهما مقبوضتان دلّ ذلك على بخله^(١٠٢). وهو تفسير على سبيل الكناية، لأنّ بسط اليدين كناية عن الجود، وقبضهما كناية عن البخل كما ذكر في تفسير قوله

تعالى ﴿أَيَّدِيهِمْ﴾ [التوبة: ٦٧].^(١٠٣)

- وتأتي عليهم لمن عضّ على أنامله بأنّه يفعل أمراً يندم عليه.^(١٠٤) والعضّ على الأنامل هو في التصنيف البياني كناية عن الندم كما جاء التعبير بذلك في قوله

تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]. قال ابن جرّي المفسّر: "عضّ اليدين كناية عن الندم والحسرة."^(١٠٥)

رابعاً: فنون البديع

والمستعمل منها في كتب المعبرين بحسب ما وقف نظري عليه: الجناس والتورية.

(١٠١) الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، تونس، ط

الدار التونسية، ١٩٨٤: ٣/٧٤.

(١٠٢) تعطير الأنام ص ٤٧٨.

(١٠٣) انظر مثلاً: البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمود أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، القاهرة، مط عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢: ٣٠٨/٢. وإرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٨٠/٤.

(١٠٤) تعطير الأنام ص ٣٣٥، ٤٧٨.

(١٠٥) التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق محمد سالم هاشم، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥: ١٠٦/٢.

يصرعان: أنّ المصروع هو الغالب، والصّارع هو المغلوب. ويعدّ البغويّ في كتابه شرح السنّة^(٩٧) منها: تأويل الأمن بالخوف، والخوف بالأمن. غير أن استعمالهم هذا النمط من التأويل مقيد بنطاق ضيق، فلكل لفظ من ألفاظ الرؤى دلالاته المبيّنة عندهم، فلا يصار إلى حمله على ضدّ معناه الظاهر إلا عند وجود أمارات وقرائن تدعو إليه، كما في رؤيا الوالي أنّه قد أتاه عهد توليته، فيؤولونه بالعزل، على حين أنهم يحملون على ذلك ظاهره وهو ابتداء ولايته إن لم يكن والياً في الأصل^(٩٨). وإثما ساغ تأويل العهد بالعزل في حقّ الوالي، لأنّ استحداث التولية في حقه غير متصوّر. ثالثاً: الكناية

والوارد منها في استعمالات المعبرين: الكناية عن صفة، ويكون المكنيّ عنه فيها هو الصفة، فيذكر ما هو لازم لها، ويُنتقل من اللازم إلى ملزومه.^(٩٩) ومن أمثلتها الشائعة: كثير الرماد. كناية عن صفة الكرم.

- ومن نماذج التعبير بكناية الصفة:

- ما ذكره من أنّ من رأى أنه يضرب الأرض بيده أو بشيءٍ فإنّه يُسافر للتجارة^(١٠٠). وذكر أهل

البيان في تفسير قوله ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] أن الضرب في

(٩٧) شرح السنّة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٨: ١٢: ٢٢٣.

(٩٨) تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص ٣٠.

(٩٩) انظر في كناية الصفة: إيضاح التلخيص ص ٤٥٨ ومعجم المصطلحات البلاغية: ١٦٢/٣.

(١٠٠) تعطير الأنام ص ٤٢.

١- الجناس

والتجنيس الحاصل بين (رافع ورفعة) و(عُقبَة وعاقبة) هو الجناس المعروف عند البديعيين بالاشتقائي لاشتراك المتجانسين في الأصل اللغوي (رفع، عقب)، ويُعرّف هذا اللون بأنه: ما جمع رُكنيه أصلٌ واحد في اللغة، ثمّ اختلفا في حركاتهما وسكناتهما.^(١٠٩) وأمّا بين (طاب) و(طاب) فهو جناسٌ تامٌّ لاتفاق اللفظين في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها. ويُسمّى (المستوفى) لاختلاف نوعي اللفظين، فالأوّل اسم والثاني فعل.^(١١٠)

- فمن صور الجناس التام

- تأويلهم لرؤيا الذهب في المنام بأنها تكون أحيانا بمعنى الفعل (ذهب)، فمن رأى أن بيته صار ذهباً، أصابه حريق فذهب، ومن رأى أن يديه صارتا ذهباً: بطلتا وصارتا بلا حركة، ومن رأى أن عينيه من ذهب: ذهب بصره فعمي.^(١١١) والجناس بين الاسم (ذهب) والفعل (ذهب) من نوع المستوفى كما مرّ.

- وتأويلهم لرؤيا كف اليد بالكف عن الأمور، فمن رأى كفاً وهو خائف من أمر انكف عنه، وقالوا: والكف إذ حسن كان دليلاً عن الكف عن الشرّ أو عن معاصي الله.^(١١٢)

وللجناس بأنواعه المختلفة حضور ملحوظ في تأويلات المعبرين، ويتوسّل به إلى تأويل الرؤيا بانتخاب لفظ يكون مُجانساً للفظ المنصوص عليه فيها بوجه من وجوه التجنيس المعروفة بديعياً، فتصبح الرؤيا بفضلها مفهومة المغزى ومعقولة المعنى.

وعمدتهم في سلوك هذا النهج من التأويل ما ورد في السنّة النبويّة من رواية أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "رأيتُ ذاتَ ليلة فيما يرى النَّائمُ كأنّا في دار عُقبَة بن رافع، فأتينا برُطبٍ من رُطبِ ابنِ طاب، فأولتُ الرُّفعةَ لنا في الدُّنيا، والعاقبة في الآخرة، وأنّ ديننا قد طاب."^(١٠٦)

قال أبو العباس القرطبي: "وتأويله دليلٌ على أنّ تعبير الرؤيا قد يُؤخذ من اشتقاق كلماتها، فإنه ﷺ أخذ من (عُقبَة) حُسنَ العاقبة، ومن (رافع) الرُّفعة، ومن (رُطبِ ابنِ طاب) لذادة الدّين وكمالهِ." وأشار إلى أن الاشتقاق من الأسماء أحد طرق علماء العبارة في تأويل الرؤى.^(١٠٧) وهو ما قرّره أيضاً الشهاب العابر في اعتبار الاشتقاق من الأسماء أحد أصول الرؤيا.^(١٠٨)

(١٠٦) أخرجه مسلم في صحيحه، تحقيق فؤاد عبدالباقي، ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٧٢: برقم ٢٢٧٠.

(١٠٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين مستو وآخرين، ط ٢، دمشق، دار ابن كثير، ١٩٩٩: ٣٤/٦.

وانظر: تعبير الرؤيا لابن قتيبة ص ١٦-١٧.

(١٠٨) شرح البدر المنير ص ١٦٠، ١٦٢.

(١٠٩) علي الجندي، فنّ الجناس، القاهرة، ط دار الفكر العربي، دت: ص ١١٤. وعده القزويني في إيضاح التلخيص ص ٥٤٢ ملحقاً بالجناس.

(١١٠) إيضاح التلخيص ص ٥٣٥-٥٣٦.

(١١١) تعطير الأنام ص ٣٠٦.

(١١٢) المرجع السابق ص ٣٩٦.

مرميًا - والدُمْلَج: سِوَارٌ يُحِيطُ بِالْعَضُدِ -، فوضعه تحته رجله، وأكل من الثمرة. فقد فسّر بطلب حاجة من رجل جليل القدر، وأوّل (دُمْلَج) بافتراض تأليفه من فعلي أمر (دُم) و(لَج)، أي: استمرّ في الإلحاح بطلبها وخاصم من أجلها يُتَقَضَى. (١١٧)

- وكتعبيرهم لرؤيا من رأى أنّه يكتوي من الماء، فصوّر المرئيّ على أنّه (كيّ ماء)، ولأجل تأويلها جعلت كلمة واحدة وهي (كيمياء)، فكان تعبيرها أنّ الرائي يتعاطى صناعة الكيمياء، وهي بعرف ذلك الزمان: تحويل المعادن إلى أنواع أخرى (١١٨).

- ومنه أيضا: الجنس الحرف

ويكون عند اختلاف اللفظين في هيئات الحروف فقط كالبرد والبرد (١١٩).

فمن صورته في كتب المعبرين:

- تأويلهم لمن رأى أنّه صار نُوحًا (ع): بمعاشرته لأهل النوح واللطم بناء على المجانسة بين نُوح والنوح. (١٢٠)

- وتأويلهم الشّعْر بالشّعْر كما هو قولهم في مَنْ رأى شَعْرًا ينبت على شفته السفلى، فأوّلَتْ له بعمل الشّعْر. (١٢١)

- وتأويلهم لرؤيا راحة اليد بالراحة من التعب. (١١٣) والجناس بين المصدر (الكفّ) والجراحة (الكف)، والمصدر (الراحة) و(راحة) اليد هو من قبيل الجنس التام (المماثل) لاتفاق المتجانسين في الاسميّة. (١١٤)

- ومن التام أيضا: جناس التركيب

ويكون أحد لفظيه مركبا من كلمتين (١١٥). ومن

شواهد قول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذاهباً

فدَعُوهُ فدولتُوهُ ذاهباً

والمعبرون يعتمدون عليه أحيانا في تأويل ما غمض من الرؤى، غير أنّهم لا يتشدّدون كالبديعيين في اشتراط الاتفاق التام بين اللفظين من كل الوجوه، بل يتغاضون عن شيء من الاختلاف بينهما، وذلك بغية الحصول على معنى مفهوم مترتب على تفكيك اللفظ الواحد المذكور في الرؤيا إلى لفظين منفصلين، وبهما يكون مفتاح شفرة الرؤيا. وربما لجأ المعبرون إلى عكس ذلك، فدجّوا بين اللفظين - كما سيأتي - ليتمكنوا من تعبيرها. فمن ذلك:

- تعبيرهم رؤيا (الياسمين) بتفكيك الكلمة إلى (ياس) و(مين)، فهو عندهم دالٌّ على الإياس والمين الذي هو الكذب. (١١٦)

- وتعبيرهم لرؤيا من رأى أنّه أراد أن يأكل من شجرة مثمرة، فلم يقدر على ذلك، ووجد دُمْلَجاً

(١١٧) شرح البدر المنير ص ٣٧٦.

(١١٨) انظر: طاش كبري زاده، مفتاح السعادة ومصباح

السيادة: ٣١٧/١.

(١١٩) إيضاح التلخيص ص ٥٣٧-٥٣٨.

(١٢٠) شرح البدر المنير ص ١٩٤.

(١٢١) المرجع السابق ص ٤٣٦، ٤٣٩.

(١١٣) المرجع السابق ص ٣٩٦.

(١١٤) إيضاح التلخيص ص ٥٣٥.

(١١٥) إيضاح التلخيص ص ٥٣٦، وفنّ الجنس ص ٧٤.

(١١٦) شرح البدر المنير ص ١٦١، وتعطير الأنام ص ٤٧٧.

- وتأويلهم السَّوْسَنَ بشطره الأول وهو السَّوْء. (١٢٨)
والتذييل فيه بزيادة حرفين [س ن].
- وتأويلهم الدَّبوس بحذف الحرف الأول منه، فهو
في الرؤيا: بؤس. (١٢٩)

ج) جناس القلب

وحَدُّه: اتِّفَاق اللفظين في نوع الحروف وعددها
وهيئتها، واختلافهما في الترتيب. ويجعلونه قسمين:
قلب كل، وقلب بعض. فالأوَّل: مثل (فتح)
(وحف)، والثاني: مثل (عورة) و(روعة) (١٣٠).
وقد أكثر المُعَبِّرون من الاستعانة بهذا النوع في فكِّ
رموز الرؤى، فمن قلب الكل:
- تأويلهم (دلو) في رؤيا من رأى أنه اشتراه بأنه
(ولد) (١٣١).

- وتأويلهم (الوداع) في الرؤيا بعودة الغائب، لأنَّ
(وداع) (إذ قلب صار: عادوا). (١٣٢)
- وتأويلهم (التراب) في رؤيا من رأى على
بضاعته تراباً أتتها تبور، لأنَّ عكس
(تراب): بارت. (١٣٣)
ومن قلب البعض:

- تأويلهم الـ (جزر) في المنام بأنه (زجر)
وردد. (١٣٤)

- وتأويلهم العَزَلُ بالعَزَل، كما في قولهم في مَنْ
رأى أنه يَغَزَلُ لامرأة بأنه يتغزَلُ بها في شعره. (١٢٢)
- ومن أنواع الجناس الناقص المستعملة في كتب
المُعَبِّرين:

أ) الجناس الاشتقائي

وسبق التعريف به، ومن نماذجه في كتب المُعَبِّرين:
- ما ذكره ابن قتيبة (١٢٣) من التأويل بأسماء الأعلام
على سبيل التفاؤل، قال: "كرجلٍ يُسَمَّى (الفضل)
تتأوِّله إفضالاً، ورجلٍ يُسَمَّى (راشداً) تتأوِّله رُشدًا،
و(سالماً) تتأوِّله سلامةً، وأشباه هذا كثير."
- وتأويلهم الغمامة بالغمِّ لاشتقاقها منه. (١٢٤)
- وتأويلهم الجلوس على الحَصِيرِ بالحَصْرِ
والحِصَارِ. (١٢٥)

ب) الجناس المذيل

ويكون باختلاف اللفظين بزيادة حرف أو أكثر في
آخر اللفظ، كالجوى والجوانح. (١٢٦) وبه استعان
المُعَبِّرون في كشف دلالات بعض الرموز لكن على
قلَّةٍ، فمن ذلك:
- تأويلهم السَّفَرَجَل - وهو نوع من الثمار -
بالسَّفر (١٢٧)، فبينهما جناس مُذَيِّل بزيادة حرفين [ج ل]
في الآخر.

(١٢٨) المرجع السابق ص ١٨ - ١٩.

(١٢٩) تعطير الأنام ص ١٩٠.

(١٣٠) إيضاح التلخيص ص ٥٤١، وفنّ الجناس ص ١٠١ - ١٠٥.

(١٣١) شرح البدر المنير ص ١٦٥.

(١٣٢) المرجع السابق ص ١٦٥.

(١٣٣) تعطير المنام ص ٩٣.

(١٣٤) المرجع السابق ص ١٢٣.

(١٢٢) المرجع السابق ص ٢٢٤.

(١٢٣) تعبير الرؤيا ص ١٦.

(١٢٤) تعطير الأنام ص ٣٥٣.

(١٢٥) شرح البدر المنير ص ٣٠٠.

(١٢٦) إيضاح التلخيص ص ٥٣٩ - ٥٤٠، وفنّ الجناس ص ٩٧.

(١٢٧) تعبير الرؤيا ص ١٨.

- ومنه أيضا تأويلهم العنب في بعض الرؤى بالعنب.^(١٣٩)

٢- التورية

وهي أن يُطلق لفظ له معنيان: قريبٌ وبعيدٌ، ويُراد به البعيدُ منهما.^(١٤٠) كالغزاة حين تُطلق ويراد بها معناها البعيد وهو الشمس، على حين أن المعنى القريب المتبادر إلى الذهن هو أنثى الحيوان المعروف.

والمعبرون يستعمل هذه التقنية البديعية في تأويل الرؤى التي تكون ألفاظها محتملة لأكثر من معنى، فيحملون اللفظ على معناه الأبعد إن كان في سلوك ذلك ما يعين على تفسيرها وبيان المغزى المراد منها. فمن صور ذلك:

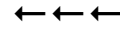
- فمن ذلك تأويلهم رؤيا القط في المنام بالكتاب^(١٤١)، فالمعنى القريب - وهو الحيوان المعروف - غير مراد، والمعنى البعيد هو المراد برأي المعبر، وجاء بهذا المعنى في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا مَجَلَّ قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ١٦]، فالقط هنا: صحيفة الحساب يوم القيامة.^(١٤٢) غير أن التورية ليس فيها ما يؤيد المعنى المورى عنه (البعيد)، فهي بحسب توصيف البديعيين: تورية مجردة. وهو أمر يُضعف من قيمة هذا التأويل الذي يبدو بعيدا، ولا أمانة عليه.

- وتأويلهم لرؤيا من رأى أنه يأكل لحما من (خمر) بأنه لحم من (رَحْم).^(١٣٥) والرَّحْم نوع من الطيور.

(د) جناس التصحيف

وهو تماثل اللفظين خطأ، واختلافهما نطقا. ومثاله قولهم: "عليك بالياس من الناس".^(١٣٦) ومن مذاهب المعبرين تأويل الرؤيا بتصحيف بعض الألفاظ الواردة فيها، فيكون اللفظ المفسر تصحيفا للفظ المذكور في الرؤيا، فمن ذلك:

- ما حكاه القرافي^(١٣٧) من أن المصريين رأوا أن رؤاسا أخذ منهم الملك، فعبّر لهم بأن شاور^(١٣٨) يأخذه، وكان كذلك. وقلب رؤاس ساور بالسین المهملة، وتصحيف ساور بشاور بالشين المعجمة، وجمع هذا المثال بين القلب والتصحيف.



رؤاس قلب ساور تصحيف شاور
- وما حكاه أيضا من أن صاحب العرب رأى قائلا يقول له: خالف الحف من عذر. فقيل له: أنت تقصد النكت في أيمان حلفتها لقوم، فحدّرت من ذلك في الرؤيا، فقيل لك: خالف الحق من عذر.

(١٣٥) شرح البدر المنير ص ١٦٥.

(١٣٦) فن الجناس ص ١٤٠.

(١٣٧) الذخيرة: ٢٧٥/١٣، والفروق: ٢٤٩/٤.

(١٣٨) هو شاور بن مجير السعدي كان أميرا على الصعيد من قبل الخليفة الفاطمي العاضد، وقام بثورة ليستبد بحكم مصر، لكنه قتل في نهاية الأمر عام ٥٦٤هـ. تُنظر ترجمته في: الأعلام للزركلي، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠: ١٥٤/٣.

(١٣٩) تعطير الأنام ص ٣٤٢.

(١٤٠) إيضاح التلخيص ص ٤٩٩.

(١٤١) تعطير الأنام ص ٣٧٥.

(١٤٢) انظر: تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٢١٨/٧.

وهذه صور من هذا التداخل الطريف تمثل الاستعارة القاسم المشترك الأكبر بينها:

- فمن ذلك: تأويلهم الحمام في الرؤيا بكونه دليلاً على قرب الوفاة لا سيما من كان عنده مريض، مستندين في ذلك إلى استعمالين بلاغيين:

الأول: المشابهة الاستعارية الوظيفية بين النائحة على الميت والحمام، فكلاهما وظيفته التّوح. قالوا: لأنّ رؤية الحمام تدلّ على النّوح.^(١٤٥)

الثاني: الجناس التامّ المحرّف بين الحمام - بفتح الحاء -، والحمام - بكسرهما - وهو الموت.^(١٤٦)

- ومن هذا القبيل اجتماع الاستعارة بمجاز الجزئية كما في تأويلهم لرؤيا ملكٍ رأى أنّ عينه صارت فوق حاجبه. فأولت بجعله على مُقدّم عساكره عيناً.^(١٤٧)

فدلالة العين على الجاسوس من باب مجاز الجزئية، ودلالة الحاجب على مُقدّم العساكر من قبيل الاستعارة الوظيفية بجامع اشتراك الاثنين في حماية ما وُكل إليهم حفظه من الأذى. وكما في تأويلهم لرؤيا مَنْ رأى أنّه يأخذ ريشاً من جاموس بسرقة طيور من عند جليل القدر.^(١٤٨) فمجاز الجزئية في دلالة الريش على الطيور، والاستعارة العرفية في التعبير عن جليل القدر بالجاموس.

- واجتماع الاستعارة بمجاز المجاورة كما في تأويلهم لرؤيا مَنْ رأى أنّه أخذ جلد جاموس من مدبغة بأخذ ثوبٍ من تركة جليل القدر.^(١٤٩) فدلالة

- ومنه: التورية بلفظ الكوكب في رؤيا من رأى أنّه وُضع على عينيه كوكبان وهو ينظر، فأولت له بأنّه يطرأ على عينيه بياض، واستدلوا لذلك بأنّ البياض يُسمّى كوكبا في اللغة.^(١٤٣) فحمل الكوكب على معناه البعيد لا القريب، ويمكن القول بأنّ هذه التورية المنامية جاءت مرشحةً، لأنّ فيها ما يلائم المعنى البعيد المورى عنه، فالبياض الذي يعلو العين من أمراضها المعهودة بخلاف الكوكب النجم، فإنّه من غير الوارد مطلقاً أن يكون محلّ العين. فالترشيح يؤيد ما ذهب إليه المعبرون في تأويلهم.

- ومنه التورية بلفظ النجم، فإنّ له معنيين: أحدهما قريب وهو الجرم النير في السماء، والآخر بعيد وهو: ما لا ساق له من النبات. وذلك في مَنْ رأى أنّه قائم بين النجوم، فاحترق ثوبه. فأولت بضياح ثوب له وهو يتفرّج في نبات وزهر.^(١٤٤) وهي تورية مرشحة، لأنّ المشي بين النجوم مناسب للمعنى المورى عنه وهو النّبات، إذ لا يمكن تصوّر ذلك في حقّ نجوم السماء.

خاتمة: في التداخل بين التقنيات البلاغية

على مسرح التأويل

وفي نهاية هذه الدراسة تجدر الإشارة إلى أنّ المعبرين ينظمون أحياناً عدداً من التقنيات البلاغية في سلك تأويل الرؤيا الواحدة، إذ تتضافر هذه التقنيات المختلفة معاً من أجل الوصول إلى تأويل يمكن الركون إليه والاعتماد عليه لسلامة الوسائل الفنيّة التي تولّد عنها.

(١٤٥) تعطير الأنام ص ١٥٩

(١٤٦) شرح البدر المنير ص ٢٩٧-٢٩٨، وتعطير الأنام ص ١٥٨.

(١٤٧) المرجع السابق ص ٤٣٩.

(١٤٨) المرجع السابق ص ٢٨٢.

(١٤٩) المرجع السابق ص ٣٢٧.

(١٤٣) شرح البدر المنير ص ٢١٩.

(١٤٤) المرجع السابق ص ٢٢٠.

١٩٧٥. الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩.

الجرجاني، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاعر، ط ٣، القاهرة، مطبعة المدني، ١٩٩٢.

الجرجاني، محمد بن علي: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق عبدالقادر حسين، ط ١، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٨٢.

الجندي، علي: فنّ الجناس، القاهرة، ط دار الفكر العربي، د.ت.

الرازي، فخر الدين: تفسير مفاتيح الغيب، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

زادة، طاش كبري: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.

الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمود أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، القاهرة، مط عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢.

الزخشري، جار الله: الكشف عن حقائق التنزيل، القاهرة، ط مصطفى البابي، ١٩٦٦.

زيعور، علي: الأحلام والرموز، ط ١، بيروت، دار المناهل، ٢٠٠٢.

السكاكي، يوسف: مفتاح العلوم، ضبط نعيم زرزور، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

الشهاب العابر المقدسي: شرح "البدر المنير في علم التعبير"، تحقيق حسين جمعة، ط ١، بيروت، مؤسسة الريان، ٢٠٠٠م.

الجلد على الثوب من مجاز المجاورة، والاستعارة في الجاموس سبق بيانها.

- واجتماع الاستعارة بالجناس التام كما في تأويلهم رؤيا مَنْ رأى أن السلطان بنى له برجاً عالياً لا طاقة فيه بتوليّه منصباً لا طاقة له به.^(١٥٠) فاستُعير البرجُ للمنصب الرفيع بجماع علوّ المنزلة في كلِّ، والجناس بين طاقة بمعنى النافذة، وطاقة بمعنى القدرة.

المصادر والمراجع

ابن جُزَي الكلبِيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق محمد سالم هاشم، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.

ابن عاشور، الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، تونس، ط الدار التونسية، ١٩٨٤.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: تعبير الرؤيا، ط ١، القاهرة، دار المدائن العلمية، ٢٠٠٥.

البغوي، الحسين بن مسعود: شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٨.

التفتازاني، سعد الدين: المطول شرح التلخيص، تحقيق عبدالحميد هندراوي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١.

الجاحظ، عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ٤، القاهرة مكتبة الخانجي،

- الصّبّان، محمد بن علي: الرسالة البيانية، بحاشية
عليش، تحقيق أحمد المزيدي، ط ١، بيروت دار
الكتب العلمية، ٢٠٠١.
- الطبيبي، شرف الدين: التبيان في علم المعاني والبديع
والبيان، تحقيق هادي عطية، ط ١، بيروت، عالم
الكتب، ١٩٨٧.
- العمادي، أبو السّعود: تفسير إرشاد العقل السليم،
تصحیح حسن مرعي والصادق قمحاوي،
بيروت، ط دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، بيروت، ط
دار المعرفة، د.ت.
- فتحي، إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية، ط ١،
تونس، المؤسسة العربية للناشر المتحدّين، ١٩٨٦.
- الفروق، القاهرة، ط دار إحياء الكتب العربية،
١٣٤٧هـ.
- فروم، إريك: اللغة المنسية: مدخل إلى فهم الأحلام
والحكايات والأساطير. ترجمة حسن قيسي، ط ١،
بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٥.
- فرويد، سيغموند: الحلم وتأويله، ترجمة جورج
طرايشي، ط ٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٢.
- القرافي، شهاب الدين: الذخيرة، تحقيق جماعة،
ط ١، بيروت دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤.
- القرطبي، أبو العباس: المفهم لما أشكل من تلخيص
كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين مستو وآخرين،
ط ٢، دمشق، دار ابن كثير، ١٩٩٩.
- القزويني، الخطيب: إيضاح التلخيص، شرح محمد
خفاجي، ط ٣، بيروت، الشركة العالمية للكتاب،
١٩٨٩.
- مسلم بن الحجاج: الصحيح، تحقيق فؤاد عبد الباقي،
ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٧٢.
- مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية، ط ١،
بيروت، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٦.
- النابلسي، عبدالغني: تعطير الأنام في تعبير المنام،
تحقيق وإعداد معروف زريق، ط ٢، بيروت،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠.
- نويل، جان بيلمان: التحليل النفسي والأدب، ترجمة
حسن المودن، القاهرة، ط المجلس الأعلى للثقافة،
١٩٩٧.

The rhetoric of dreams: a comparative hermeneutic study

Jassem Sulaiman Al-Fuhaid

*Professor of Rhetoric Department of Arabic Language Co / Faculty of Arts
University of Kuwait*

(Received 11/11/1432h Accepted for publication 17/4/1433h)

The Key words: Rhetoric , dreams ,hermeneutic , oneiromancy , Arabic tradition

Abstract. The dreams has a unique linguistic speech, nevertheless it does not gives us easily the keys of its codes. Therefore, this speech requested a great efforts in order to explain its implications and provide us with a explanatory reading, which will allow the dreamer to make use of his special dreams.

From this perspective, the language of dreams can be considered as a sister of the Poetic language. Depending on the huge Arabic tradition in the science of oneiromancy , our study will focus on the techniques that were used by the arab Scientists of oneiromancy, In order to reveal the close relationship between it and the techniques of Arabic Rhetoric. It will work on advance a vision of the rhetorical hermeneutic processes that were used by the interpreters of dreams in their field.

